

## دور الترجمة العسكرية في التمكين للغزو في مصر والجزائر The Role of Military Translation in Facilitating Invasion in Egypt and Algeria

يحيى زغودي<sup>1\*</sup>، نعيم بن مرابط<sup>2</sup>

1 جامعة الملك خالد- أبها، (السعودية)، [zyeghoudi@kku.edu.sa](mailto:zyeghoudi@kku.edu.sa)

2 جامعة باجي مختار- عنابة، (الجزائر)، [nbenmerabet\\_75@yahoo.fr](mailto:nbenmerabet_75@yahoo.fr)

تاريخ الاستلام: 2020/10/30 تاريخ القبول: 2021/04/26 تاريخ النشر: 2021/06/30

### ملخص:

يتناول هذا المقال بالدراسة الدور الذي قام به المستشرقون والمترجمون الفرنسيون في مساعدة السلطات الفرنسية في الحملة العسكرية على مصر بقيادة الجنرال نابليون بوناپارت سنة 1798 والوساطة التي كانوا يقومون بها بين الغازي الفرنسي وأهالي مصر، ثم كيف أن مجموعة من هؤلاء المستشرقين والمترجمين الفرنسيين ومن التحق بهم من المصريين والسوريين أو بعض أبنائهم استجابوا لنداء وزارة الحرب الفرنسية عندما عزم على غزو الجزائر سنة 1830، وشاركوا في الغزو بالقيام بمهام الترجمة والوساطة بين المحتل الفرنسي والداي حسين الحاكم العثماني للجزائر أثناء حصار المدينة، وكيف أنهم بعد سقوط مدينة الجزائر قاموا بالترجمة للجيش الفرنسي والتوغل في المجتمع الجزائري لتعلم لهجاته والتعرف على عقليته وعاداته ونقاط القوة والضعف فيه ونقلها للقيادة العسكرية الفرنسية ومساعدتها في جميع مخططاتها الرامية إلى سياسة الشعب الجزائري وإخضاعه وإدماجه في اللغة والثقافة الفرنسية، وجعله يتخلى عن لغته العربية والأمازيغية وإضعاف دينه الإسلامي حتى يسهل استيعابه والقضاء على مقاومته.

كلمات مفتاحية: المترجمون؛ حملة نابليون على مصر؛ سقوط مدينة الجزائر؛ وساطة المترجمين؛ إحتلال الجزائر.

### Abstract:

This article traces the history of translation and the role played by French orientalist and translators as well as "indigenous" translators and interpreters in Napoleon Bonaparte's expedition to Egypt (1798 – 1801) and, then the attack of Algiers Regency by General de Bourmont in July 1830. This research shows that the role of translation was crucial in both cases and

the conquests could not concretize without its active participation. It also shows that many of the translators or their sons after conquering Egypt joined the French military assault of Algiers and helped translate for victors and took up administrative positions in the French administration of colonized Algeria and played important roles of mediation between the colonizer and the colonized.

**Keywords:** translators; Napoleon's expedition to Egypt; attack of Algiers Regency; colonization of Algeria.

## مقدمة:

يندرج هذا البحث في إطار تاريخ الترجمة في الدراسات الترجمة، إذ يتفقى مساهمات المترجمين والترجمة العسكرية ووضعيتهم القانونية، أولا باستخدامهم من قبل الجنرال الفرنسي نابليون بونابارت في حملته على مصر من 1798 إلى 1801 ثم استخدام بعض هؤلاء، إضافة إلى آخرين جدد، من قبل الجنرال دو بورمون De Bourmont في الترجمة بينه وبين الداي حسين الحاكم التركي لمدينة الجزائر إبان هجوم الجيش الفرنسي عليها وسقوطها في 5 جويلية 1830. فالمقال يتخذ دور هؤلاء المستشرقين الفرنسيين والمترجمين في حملة مصر، مقدمة وقاعدة انطلاق نحو تركيز أكبر وتفصيل أكثر عن مساهمتهم في غزو الجزائر وتسهيل مخاطبة المستعمر الفرنسي للشعب الجزائري، والذي ما كان ليتم لولاهم، ومرد ذلك إلى جهل الفرنسيين باللغة العربية وثقافة المجتمع الجزائري العربي والأمازيغي المسلم، وجهل هذا الأخير باللغة الفرنسية وما يتصل بها من ثقافة واجتماع من جانب آخر. ويتطرق أيضا إلى اضطلاع بعضهم بمسؤوليات إدارية سواء فيما سمي بمكاتب الشؤون العربية (Bureaux Arabes) أو الأعمال القنصلية و تسيير محافظات الشرطة والقيام بمهام الترجمة في المحاكم ومهام إحصاء مقدرات البلاد. ويشير المقال أيضا إلى دور بعض المترجمين في التجسس على الأهالي وبعض القادة أمثال الأمير عبد القادر الجزائري، الذي استأنس لمترجم فرنسي تظاهر بأنه اعتنق الإسلام ولازمه سنين طويلة يصلي معه في المسجد ويصوم ويحكي ولكنه كان ينقل أسرار الأمير للجيش الفرنسي ثم هرب والتحق بهذا الجيش بعد أن تسبب للأمير في خسائر كبرى. كما يستعرض المقال تنظيم سلك المترجمين وتطوره وأحوالهم المادية والاجتماعية في الجزائر إبان الاستعمار الذي دام 132 سنة من 1830 إلى الاستقلال سنة

1962، وكيف أن هذا السلك مر بأطوار مختلفة يطبعها التذبذب في الوضعية المادية والرتبة الإدارية، ويستعرض أيضا تاريخ إنشاء المدارس والمعاهد التي تعنى بتكوين المترجمين والتراجمة.

### 1. مترجمو نابليون في مصر 1797 – 1801:

كان للترجمة دور حاسم في إنجاح حملة نابليون العسكرية على مصر أثناء مكوث الجيش الفرنسي هناك. فما كان بإمكان قادة الجيش الفرنسي ومرافقيه من العلماء والإداريين وغيرهم أن يتواصلوا مع أعيان مصر وشيوخها وأهاليها لولا الدور الكبير الذي أداه المترجمون والمستشرقون الفرنسيون ومن انضم إليهم من الشرقيين من سوريين نصارى، ومن مغاربة وأتراك مسلمين كانوا أسرى في جزيرة مالطة (هنداوي، 2019)، لدى فرسان القديس يوحنا وهم من البحارة حررهم الجيش الفرنسي وهو في طريقه البحري إلى الاسكندرية حيث رست سفنه (الشيال، 2020). فقد أرادها حملة يغزو بها مصر ولكنه أرادها حملة يتحايل فيها على الشعب المصري بالملاطفة في المعاملة وبتمكينه من الحضارة الفرنسية حتى ينقاد له ولا يعرقل له مخططه الذي كان يرمي لبناء الإمبراطورية الفرنسية الشرقية ويتخذ مصر قلبا لها، فيتمكن بذلك من إعاقاة تجارة بريطانيا مع الهند وإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين وأهداف أخرى سنذكرها لاحقا. ولهذا اتخذ سياسة ملاينة وتواصل مع الشعب المصري حتى لا يثور عليه ويعيق تنفيذ خططه الاستعمارية. وتشهد المصادر التاريخية أن نابليون سعى إلى التودد إلى المصريين حتى ادعى أنه مسلم ويحب الديانة الإسلامية ونبهه صلى الله عليه وسلم. فبعد انهزام الجيش الفرنسي في الاسكندرية على يد الأسطول الإنجليزي في معركة أبي قير البرية ظن الشعب المصري أن الفرنسيين اندحروا ولن يعودوا للقاهرة، وأنه سيتخلص من حكمهم ففرح واحتفل بذلك، ولما بلغ ذلك الاحتفال إلى علم نابليون قام بعد عودته إلى القاهرة بجمع العلماء وأعيان البلد ولومهم على التشميت به وحب الهزيمة له، فواجههم بقوله:

قد أخذني منكم العجب أيها العلماء والسادات إذ أنني أراكم تغتمون وتحزنون من انتصاري حتى الآن ما عرفتم مقداري وقد خاطبتكم مرارا عديدة وأخبرتكم بأنني مسلم موحد وأعظم النبي محمد،

وأود المسلمين، وأنتم إلى الآن غير مصدقين. (الترك، 1990، ص82).

كان طاقم المترجمين يضم أولئك الأسرى العرب والأتراك وخاصة المغاربة الذين حررهم الفرنسيون من جزيرة مالطا والذين ساعدوا المستشرقين والمترجمين الفرنسيين في ترجمة المرسوم الفرنسي الذي حرره نابليون على ظهر سفينة L'Orient بنية توزيعه على الأهالي المصريين حال نزوله إلى البر، من أجل طمأننتهم من أنه لا يريد بهم شرا وأن أرزاقهم وأرواحهم ودياناتهم مصونة، إلا أنه عاد في عدة مناسبات بعد ذلك وقتل وشرذ وسجن الآلاف وفرض عليهم هو ومن بعده الجنرال كليبر ثم الجنرال مينو Minou غرامات ثقيلة، وهدم بيوتهم في القاهرة وأحرقها وسي نساءهم. فكلما ثار الشعب المصري على جنود نابليون أعمل فيهم المدافع والقنابل والبنادق والسيوف ( الجبرتي، 1998 )، وسنجد أن نفس الاستراتيجية الدعائية سلكها الجنرال دو بورمون عندما حاصر مدينة الجزائر لاحتلالها فلم يحترم التزاماته إذ راح يقتل ويسجن ويعذب ويسطو على ممتلكات الدولة والشعب. فهؤلاء كلفوا بنشر نسخ المرسوم بالعربية والفرنسية والتركية في القاهرة والاسكندرية ومدن وقرى في الريف المصري. وما ينبغي ذكره هنا أن التاريخ لم يذكر لنا اسما واحدا من هؤلاء الأسرى المحررين من جزيرة مالطا، إلا أنه من الثابت أنهم شاركوا في عملية التواصل بين الفرنسيين والمصريين ( هنداوي، 2019). وأما بالنسبة للفرنسيين فقد كان منهم المستشرقون والمترجمون. ومنهم كبيرهم فانتور دو بارادي Venture de Paradis الذي قضى أربعين عاما في الشرق يشتغل مترجما في القنصلية الفرنسية في تركيا، وكان عارفا بشؤون الشرق الأوسط متقنا للفرنسية والعربية والتركية والفارسية والإيطالية ( الجبرتي، 1998). وتذكر خديجة (بوفلوح، 2018)، أن فانتور زار الجزائر سنة 1789 وجمع معلومات عن الجزائر دونها في كتاب أطلق عليه عنوان " ملاحظات عن الجزائر " Notes sur Alger " وهذا يبين أن النية كانت مبيتة لاحتلال الجزائر بعد مصر وإلا فما الدافع لتأليف كتاب يعطي كل التفاصيل عن مدينة الجزائر بسكانها وقلاعها وأسوارها وحقولها وعادات أهلها ويقترح أحكم الطرق لاحتلالها؟ ولهذا المعرفة الواسعة عن المشرق العربي وفارس وتركيا صار محل ثقة نابليون الكبيرة. كان هذا القائد العسكري يستشير في كل كبيرة وصغيرة من أمور الشرق. كما أنه قام بدور كبير في الترجمة بينه وبين الضباط الفرنسيين والشيخوخ المصريين الذين جعلهم نابليون في الديوان ممثلين للشعب المصري، يجتمع بهم كلما دعت الحاجة لمناقشة أمور الرعية، ويكلفهم بإيصال أفكاره وقراراته لثقة الشعب فيهم. كان هذا الترجمان ملازما لنابليون في كل حروبه في مصر والشام حتى أنه توفي

بوءاء الدسنتريا المتفشى في بلاد الشام وهو برفقته إلى فلسطين في حملة لإخضاع يافا وعكا والقضاء على حكم أحمد باشا الجزائر الذي لم يحمل ودا نابليون. كانت وفاته فاجعة حقيقية لم يتحملها ثم اضطر لأن يعوضه بتلميذه الفرنسي بيار أميي جوبار Pierre Amébee Jaubert الذي تتلمذ في اللغة العربية على يد المستشرق الفرنسي وأبي الاستشراق في أوربا أنطوان إسحاق سيلفستر دي ساسي Antoine Isaac Silvestre de Sacy في مدرسة اللغات الشرقية في باريس. وكان جوبار من الذين قاموا فيما بعد بالترجمة للمحتلين الفرنسيين في الجزائر. أما المترجم الفرنسي الآخر الذي عمل في مصر ثم الجزائر فهو لويس براسفيتش Louis Bracevitch الذي اضطلع بدور الترجمة وأعمال السكريتارية للجنرال مينو Minou الذي خلف الجنرال كليبر Kleber الذي خلف بدوره نابليون على حكم مصر بعد رجوع هذا الأخير سرا إلى فرنسا. يلي هذا مترجم فرنسي آخر هو لوماكا L'Homaca الذي اشتغل على ترجمة الوثائق الرسمية وجلسات ومحاضر المحاكمات، كما كان عضوا في لجنة الترجمة في الجمع العلمي الذي أنشأه نابليون في القاهرة. يضاف إلى هؤلاء مجالون Magallon ودولابورت Delaporte ومارسال Marcel وبلتاست Belleteste وريج Raige . وهؤلاء شاركوا في 1830 في الترجمة للجيش الإفريقي ( L'Armée de l'Afrique ) التابع لفرنسا الذي غزا الجزائر. فعدد المترجمين الفرنسيين الذين شاركوا في الحملة على مصر ثم على الجزائر تسعة. ويلحق بهم السوريون والمماليك كما سنرى عند شارل لوران فيرو . وفي هذا الصدد ذكرت المصادر مترجمين فرنسيين اثنين آخرين هما حنا روكا وكليمان الذي ذكره الجبرتي ويقولون الترك في كتابيهما المعاصرين للحملة (الجبرتي، 1998؛ الترك، 1990).

لقد أعان الفرنسيين في احتلالهم مصر وسياستها مترجمون عرب سوريون نصارى وهم:

دون إلياس ويوسف مسابكي وهما من السوريين الروم الكاثوليك المقيمين في إيطاليا، وكانا يتقنان العربية والفرنسية والإيطالية. يضاف إليهما الراهب أنطون مشحرة الذي تخلى عن زيه الديني وحمل السلاح مع الفرنسيين. ووجد إلى جانبهم أيضا يوسف فرحات وميخائيل كحيل وإلياس فخر والأب أنطون رفائيل زاخور راهبة ونصر الله. كما اشتغل بالترجمة هناك أيضا عبود وميخائيل الصباغ حفيدا إبراهيم الصباغ (هنداوي، 2019). ووجد إلى جانب هؤلاء المؤرخ اللبناني الذي يعد ثاني مؤرخ لحملة نابليون على مصر بعد

الجبرتي، المسيحي اللبناني نقولا الترك، الذي ألف كتابا عن وقائع الحملة بعنوان " ذكر تملك الفرنسيات الأقطار المصرية والبلاد الشامية". يضاف إلى هؤلاء سوري آخر هو القس جبرائيل الطويل الذي غادر مصر إلى فرنسا مع الجيش الفرنسي المنهزم عند جلائه عنها بعد هزيمة البحرية الفرنسية على يد الإنجليز والأترراك في معركة أبو قير بالإسكندرية سنة 1801، وعقد معاهدة صلح بين هذه القوى الثلاث على خروج جيش نابليون من مصر بعد ثلاث سنوات من الاحتلال واستعادة الدولة العثمانية لمصر. وأما آخر مترجم سوري ذكرته المصادر فهو يعقوب بن يوسف ( عزيز ) الحلبي الماروني.

وفيما يتعلق بالمصريين، فإنه لم يوجد بينهم مترجم ما عدا قبطي واحد لأن مصر كانت منغلقة تجاه الغرب، فلم يتعلم المصريون الفرنسية. فلا المسلمون ولا الأقباط كانت مدارسهم تقدم مناهج في الفرنسية، كما أن حالة عدم الثقة بين المصريين والمحتلين الفرنسيين لم تدفعهم لتعلم هذه اللغة. أما شيوخ الأزهر الذين قرهم نابليون وجعلهم في الديوان للاستشارة والقضاء بين الناس أمثال الشراقوي والبكري والصاوي والفيومي والسادات والمهدي الذين أعجبوا بالحضارة الفرنسية وودوا لو كانوا على دراية بها فما سمحت لهم سنهم المتقدمة بتعلمها، وبالتالي لم يوجد بمصر إلا راهب قبطي أعجب بالفرنسيين وراح يقلدهم في كل شيء ثم رحل معهم تجاه فرنسا فمات في رحلته في البحر. هذا الراهب هو يعقوب القبطي. وكان من أتباعه الأقباط أليوس بقطر الذي بدأ بملازمة الفرنسيين وعمره 15 سنة فتعلم اللغة وترجم لهم، ثم رحل معهم وأقام في مرسيليا حتى عام 1812 وواصل تعلمها إلى أن أتقنها وألف فيها قاموسا مزدوجا فرنسيا عربيا نشره بعد وفاته المستشرق الفرنسي أرمان بيار كوسان دو بارسوفال ( Armand-Pierre Caussin de Perceval). توفي سنة 1821 بمرسيليا ودفن بها، ويعتبر قاموسه أول قاموس فرنسي عربي.

ومما تجدر الإشارة إليه أن التعبير العربي لهؤلاء المترجمين سواء منهم الفرنسيون أو السوريون كان ركيكا ضعيفا سيء الصياغة قريبا من العامية، حتى أن فهم تلك النصوص كان يستدعي التأمل الطويل فيها ( الجبرتي، 1998)، وللتمثيل على ذلك نورد هنا مقطعا من نص المعاهدة التي وقعها المفوضون الفرنسيون والإنجليز والعثمانيون من أجل إجلاء الجيش الفرنسي من مصر:

إنني أنا الواضع إسمي أدناه الجنرال سري العسكر العام أمير الجيش الفرنسي بالإنقليم المصري أثبت وأقر شروط الاتفاق المذكور أعلاه للحصول إجرايه بالعمل بالنوع والصورة إن كان من اللازم أن أتيقن بأن الاثنتين وعشرين شرطا المشروحة إلى الآن هي موافقة على التدقيق باللغة الفرنسية الممضي عليها من الوكلاء أصحاب ولاية الوزير الأعظم، والمقررة من جناب عالي الشأن، الترجمة التي لا بد من الاعتماد بإجرائها كل مرة إن كان لسبب أو لآخر يمكن حصول بعض الاختلافات، ومن ثم فتقلد بعض المشاكل.

ويواصل النص قائلا:

صح وجرى بمحل العسكر العام بالصالحية في ثامن شهر بليفيوز سنة ثمان من المشيخة ممضي كليبر عن نسخة صحيحة الجنرال متفرقة رأس صاحب ختام في الجيش الفرنسي ممضي داماس ( الجبرتي، 1998، ص 131 ).

## 1 - 1 - سقوط مدينة الجزائر سنة 1830 ودور الترجمة

كان للترجمة دور حاسم في احتلال الجزائر وتسهيل إدارة المستعمر الفرنسي لها، ولذلك جند عقيد قيادة الأركان المركزي كلارمون طونار Clermont - Tonèrrه فرقة من المترجمين والمرشدين في شهر يناير 1830 قبل إبحار الأسطول الفرنسي تجاه الجزائر في نفس الوقت الذي كانت فيه بقية التحضيرات للهجوم العسكري تأخذ مجراها. لقد تم هذا الهجوم في 05 جويلية سنة 1830 من قبل قائد الأسطول الفرنسي الأميرال دو بيري Duperré وقائد القوات البرية المارشال دو بورمان De Bourmont، وكان ذلك بناء على التقارير والنصائح الاستخباراتية التي أعدها مغامرون ومستكشفون ومترجمون فرنسيون زاروا الجزائر أو كانوا أسرى عبيدا عند الحكام العثمانيين كباي مدينة المدية الذي اشترى أسيرا فرنسيا من السوق ومنحه ثقته بأن جعله خازندارا عنده، ولما أطلق سراحه كتب هذا الأخير تقارير استخباراتية للحكومة الفرنسية تتحدث عن بنية المجتمع الجزائري وثقافته وعقليته ومواطن ضعفه وقوته، ونصح المسؤولين الفرنسيين باحتلال الجزائر وأشار عليهم بكيفية القيام بذلك. ولقد اتبع القادة العسكريون النصائح والمعلومات التي زودهم بها الجواسيس والمترجمون فنزلوا بقوتهم البحرية في شاطئ سيدي فرج وملكوا الطريق المشار إليها حتى يتخفوا عن أعين الجنود الأتراك المتواجدين في حصون المنطقة إلى أن وصلوا إلى مدينة الجزائر، وحاصروها فاضطر الداوي حسين للاستسلام للمارشال دو بورمون.

استسلمت مدينة الجزائر لأول مرة في تاريخها. وللمفاوضات حول الاستسلام وشروطه كلف لويس دو براسفيتش، رغم تقدم سنه، بالمهمة الصعبة لترجمة شروط المارشال دو بورمون إلى اللغة العربية للداي حسين في قصره. لم تكن هذه المهمة سهلة بسبب عجرفة الجنرال الفرنسي وقساوة شروطه التي كان يتوجب على المترجم تأديتها كما هي إلى العربية ولمعرفته المسبقة بصلف الداي وإمكانية إعدامه له وهو في قصره وبين جنده من الأتراك. فهذا الداي عزل نفسه عن الشعب الجزائري، ولم تكن همته مشاكله ولم يتخذ من هذا الشعب جنودا لجيشه. ورغم خطر الموت المحتمل فقد دخل لويس براسفيتش إلى قصر الداي وترجم له بنود معاهدة الاستسلام التي كانت قاسية جدا على الداي بسبب حملها إملاءات يصعب عليه تحملها. هذه العقوبات عدلها دو بورمون لاحقا بما يخفف شيئا ما من قساوتها ويحفظ شيئا من كرامة الداي حسين. وخرج المترجم الفرنسي سالما ولكنه كان يرتعد خوفا من موت محقق. لم يقيم بهذه المهمة إلا بعد أن تعهد له الجنرال رعاية أسرته إن قتل. ويعد هذه الحادثة أهمه الجيش الفرنسي وكان يظن أنه قام بدور بطولي يحق له به الاعتراف بهذا الصنيع، فأصابه هم من هذا الجحود وتوفي بعد شهر من ذلك بمدينة الجزائر وبها دفن.

## 2- قائمة المترجمين المشاركين في احتلال الجزائر

لم تأخذ عملية انتقاء فرقة المترجمين الذين سينضمون للجيش الإفريقي الوقت الكافي في مدينتي طولون ومارسيليا الفرنسيتين في 25 ماي 1830 تحت إشراف العقيد كلارمون طونار. ولقد تم أيضا إشراك المستشرق أنطون سيلفاستر دو ساسي، فانتقى لها أفضل تلامذته في اللغة العربية. تشكلت الفرقة من 23 فردا مقسمين على ثلاثة أقسام:

**القسم الأول:** ويتألف من أكفأ المترجمين المحترفين من فرنسيين وسوريين مسيحيين وهم كما يلي:

- جيراردان ودوبينيوسك MM. Gérardin et D' Aubignosc

- الأب زكار السوري Le père Zaccar

- لويس براسفيتش M. Louis Bracevitch

- جاكوب حبابي M. Jacob Habaiby

**القسم الثاني:** يتشكل القسم الثاني من مترجمين أقل كفاءة واحترافية من القسم الأول وكانت مكافآته بالطبع أقل مما كان يمنح لمن هم في القسم الأول وهم:

- فانسان M. Vincent

- أوزيب دو سال M. Eusèbe de Salle

- مولار M. Muller

**القسم الثالث:** يندرج ضمن هذه الفئة المترجمون الأقل كفاءة ترجمة من سابقهم وهم:

- أبي طبال وهو من مواليد جبل طارق M. Abi Tebal

- بوير وهو رئيس فرقة عسكرية M. Boyer

- عبد العال M. Abdelal

- عبد الله دسبون وهو قائد سابق لسرية عسكرية مملوكية M. Abd' Allah

D'Hasboun

وضمنت أيضا ثلاثة مستشرقين هم:

- دومانيل M. Dumesnil

- جوتيه M. Gauthier

- بورجي M. Bourget

**التراجمة المرشدون:**

وجد من ضمن هذه الفرقة مجموعة من المترجمين المرشدين وهم أقل كفاءة من بقية أفراد

الفرقة وهم:

- سالم M. Salem مملوكي تنصر في روما

- موتي ناثن وهو يهودي M. Mouty Nathan

- جوزيف وداود حبايي MM. Joseph et Daoud Habaiby

- سليمان وهو ضابط سابق في جيش المماليك M. Soliman

- أزاريا وهو ضابط سابق في جيش المماليك M. Azaria

- دي سوتزوس وهو أيضا ضابط سابق في جيش المماليك M. De Soutzos

- عبد المالك وهو أيضا ضابط سابق في جيش المماليك M. Abdel-Malek

كما أن هناك مترجمين اثنين آخرين هما:

- شاهين M. Chahin

- رامبار M. Raimbert

ومما يلاحظ أيضا على أسلوب الغزو الفرنسي للجزائر ومصر استعمال نفس الطريقة الدعائية لتهدة الشعبين وتطمينهما بأن دخول فرنسا لهما لم يكن لمحاربة أهلها ولا للإضرار بدينهما وممتلكاتهما. فقد كتب نابليون منشورا على سفينته قبل النزول في الاسكندرية وقام المترجمون والمستشرقون بنقله إلى العربية والتركية وتمت طباعته ونشره في الأماكن العامة في مصر. أما في الجزائر فقد سافر الماريشال دو بورمون من فرنسا إلى تونس في ربيع 1830 قبل غزو الجزائر وهو يحمل وثيقة أطلق عليها عنوان "إعلان للعرب" La Proclamation aux Arabes الذي وقعته هو شخصيا، وهو يقع في ثلاثة منشور باللغة الفرنسية، وقام بترجمتها المترجمون والمستشرقون ثم تم تكييفها في تونس حسب اللهجة العربية المغاربية. ومما يجدر ذكره هنا أن هؤلاء المستشرقين والمترجمين الذين شاركوا في تحرير وترجمة هذا الإعلان كانوا من تلامذة المستشرقين الفرنسيين المشهورين: وهم أنطون سيلفاستر دو ساسي وشافير بيانكي Xavier Bianchi وشارل زكار Charles Zaccar .

( Messaoudi, 2010 )

كان من المفترض أن تؤدي هذه المنشور إلى تهدئة الجزائريين الراضين بطبعهم لأي محتل أجنبي، خاصة إذا كان أوروبا كافرا. وهنا أيضا لعبت الترجمة دورا محوريا في نقل مضمون هذه المنشور إلى اللغة العربية وإطلاع الشعبين على تصريحات المحتل الفرنسي بخصوص مراميه على أرضهما، إلا أن كل التطمينات التي قدمها الماريشال دو بورمون للشعب الجزائري تم نقضها واستبدالها بالبطش والسلب ومحاربة الدين واللغة والثقافة وكل المضار التي لا تزال آثارها قائمة حتى اليوم كالأثار اللغوية والثقافية، وتشويه وتحقير الهوية الجزائرية العربية والأمازيغية الإسلامية على سبيل المثال لا الحصر.

إذن، لم يكن بوسع الجنرالات الفرنسيين الاستغناء عن الترجمة، ولهذا اهتموا بها وخصصوا لها الإطار القانوني واستقدموا المترجمين من فرنسا ومصر وسوريا وجبل طارق. واستعانوا أيضا بتراجم من مالطا إذ أن سكانها يتكلمون لهجة شبيهة جدا باللهجات التي يتكلمها سكان الساحل الإفريقي الشمالي ( Desprez, 2012 ). ذكر ألان مسعودي أن الأرشيف الفرنسي يضم قائمة المرتبات المصروفة للمترجمين في 1830 التي يبلغ فيها عدد المترجمين 69،

وأن هذا العدد كان موظفا لدى وزارة الحربية وأن عددا آخر كان يتلقى راتبه من وزارة الشؤون الخارجية وآخرين من وزارة الديانات (Messaoudi, 2010).

لقد اضطلع المترجمون في الجزائر المحتلة بمهام عديدة: تجسسية وعسكرية وإدارية ولغوية وثقافية وعلمية. فمنهم من كان ضابطا في الجيش الإفريقي يقاتل المقاومين الجزائريين، ومنهم من كان يتقلد مهام استخباراتية بحيث يجمع المعلومات عن المجتمع الجزائري ويقدمها للإدارة العسكرية لتوظيفها في تحقيق النصر الحربي على الشعب، ومنهم من تولى وظائف إدارية كما في المكاتب العربية وفي إدارات الموانئ والجمارك وأملاك الدولة، وفي القنصليات الفرنسية والشرطة. كما كان بعض المترجمين يتولى دور الوساطة بين كبار القادة الفرنسيين والشعب في محاولة من الجنرالات لفهم عقلية الشعب ومطالبه وتوجهاته. فعندما عزم الجنرال برتيزان Berthizène على احتلال مدينة عنابة في سبتمبر 1831، لقي مقاومة شرسة من الجزائريين انتهت بالانتصار عليه وتكبيده خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد. وعلى إثر هذه الهزيمة لجأ إلى تجنيد محي الدين الصغير بن مبارك، أحد الأغوات (مفردها أغا) العرب، ليقاوم في صفوف الفرنسيين ضد أبناء شعبه، فما عتم هذا الأخير أن انقلب بعد مدة إلى عدو لفرنسا فصب جام غضبه على القوات الفرنسية بعد أن شهد الممارسات القمعية والإجرامية ضد الشعب (بوفلوح، 2019). وعلى إثر هذه الواقعة تبين للجنرال الفرنسي رفض الشعب الجزائري للاحتلال الفرنسي ومقاومته الشرسة له فلجأ للمترجمين يكلفهم بمهام وأدوار لدى الجزائريين ليجدوا له سبلا تمكنه من السيطرة عليهم.

تعتبر الفترة الممتدة من 1830 إلى 1870 العصر الذهبي للترجمة العسكرية الفرنسية في الجزائر، أي قبل سقوط الإمبراطورية. ففي هذه الفترة قاموا بأدوار بارزة وحاسمة في خدمة الاستعمار وتسهيل مهمته للسيطرة على البلاد ومقداراتها وثقافتها وشعبها. وقاموا إلى جانب هذا بإقامة المدارس لتعليم اللغتين الفرنسية والعربية وأسسوا المكتبات والجرائد وكونوا ثقافة استعمارية عن الجزائر وساهموا في تحديثها وعصرنتها حسب المنظور الاستعماري الفرنسي. ويذكر ألان مسعودي أن مساهمات المترجمين في إجراء البحوث التاريخية عن الجزائر وكتابة التاريخ الوطني الجزائري مؤكدة. فقد أشارت جمعية علم الآثار لإقليم قسنطينة التي أسسها الفرنسيون سنة 1852 والجمعية التاريخية الجزائرية المؤسسة سنة 1856 إلى أن المترجمين

ساهموا في البحوث التاريخية عن الجزائر التي أجرتها هاتان الجمعيتان الفرنسيتان. فدورهم كان مركزيا في البحث العلمي قبل أن يتم تهميشهم على إثر انبثاق البحث العلمي الجامعي في سبعينيات القرن التاسع عشر (Messoudi, 2010).

### 3 - مهام المترجمين أثناء الاحتلال:

لم تكن مهام المترجمين محسورة في ترجمة المناشير الفرنسية والحوارات بين الفرنسيين والجزائريين و ترجمة المراسلات بين الإدارة العسكرية الفرنسية وشيوخ القبائل والتجنس على الأهالي، بل قاموا أيضا بأدوار في تعليم اللغة العربية للفرنسيين والفرنسية للجزائريين، وسعوا من أجل إقامة المدارس والمكتبات وتبوأوا المناصب الأمنية والإدارية. ففي ثاني يوم من سقوط مدينة الجزائر أي في 06 جويلية 1830 أسس دو بورمون لجنة حكم مؤلفة من ثمانية أعضاء من بينهم قنصل وترجمانان. ترأس هذه اللجنة الترجمان فانسان Vincent، وأما بقية الأعضاء فقد وزعت أدوارهم كما يلي:

- منح دوينوسك رتبة ملازم شرطة في مدينة الجزائر
- وعين جيراردان مديرا لأملاك الدولة
- وفرعون Pharaon على الكرسي العمومي للغة العربية
- ولوكسيروا Lauxerois محافظا عاما للشرطة
- وبرايمش Brahemscha مفاوضا سياسيا
- وأوزيب دو صال على كرسي اللغة العربية بمرسيليا
- وعبد الله دسبون قنصلا فرنسيا في مدينة معسكر
- والمقدم يوسف في منصب باي
- ورجي فارانيا وروسو Regis Varagnat et Rousseau قنصلين لشؤون الشرق )
- (consuls de Levant) (بوفلوح، 2018).

إثنان من هؤلاء المترجمين تحولوا إلى القضاء لاحقا وهما فانسان و أوزيب دو صال. ومن بين هؤلاء الضباط الذين نالوا هذه الرتب العسكرية من غير أن يتولوا أية فرقة عسكرية أصبح لبعضهم جنود تحت إمرتهم، نذكر منهم مجموعة صغيرة وهم:

- المقدم يوسف

- رئيس السرية بوير Boyer

- ملازمو الخيالة وهم: أليغرو ( Allegro )، حبايي ( Habaiby )، سالم ( Salem )

مارغريت ( Margueritte ) وعبد العال ( Abdelal ) .

- وعين النقيب سليمان على فرقة خيالة ( بوفلوح، 2018).

#### 4- وضعية المترجمين بعد سقوط الجزائر:

لم تكن وضعية المترجمين والتراجمة الحربيين واضحة بعد وقت قصير من تمكن فرنسا من احتلال الجزائر، إذ بدا وكأن مهمتهم انتهت وأن الجيش الفرنسي استغنى عن حاجته إليهم. فبعد الاحتلال مباشرة لم تكن سياسة الحكومة الفرنسية واضحة تجاه الجزائر. ففريق في الحكومة يرى بأنه على الجيش الفرنسي أن يبقى وفريق يعارض ويرى بأنه لا فائدة من هذا الاحتلال أصلا. وكان أن انعكس هذا الموقف المضطرب إهمالا على سلك المترجمين فغادر كثير منهم البلد لعدم وضوح الرؤية لمستقبلهم. وأما براسفيتش ترجمان نابليون سابقا فقد توفي في عمر متقدم. كما أن العقيد حبايي وبعض المملوكيين غادروا ولم يبق إلا الأب زاخورة وقليل من رفاقه موزعين على بعض المصالح الإدارية. يضاف إلى عامل التشتيت هذا عامل آخر وهو رفض سلك المترجمين للمبادرة التي قامت بها وزارة الحرب الفرنسية أثناء الاستعداد للغزو وهو قيامها بتجنيد تراجمة مرشدين ممن تنعدم فيهم الكفاءة وحسن السلوك والانضباط وهم من الأهالي الجزائريين وبعض المشاركة العرب ممن لم يتلقوا أي تكوين في الترجمة وكان إتقانهم للفرنسية ضعيفا جدا ( بوفلوح، 2018). لم يتقبل المترجمون الرسميون هؤلاء واحتجوا عليهم كثيرا، خاصة أن أخلاقهم كانت مشينة لسلك المترجمين ولم تستجب السلطة العسكرية لمطالبتهم بتسريحهم. بالإضافة إلى هذا ازدادت وضعية هذا السلك سوءا عندما تولى الجنرال برتيزان Berthizène قيادة الجيش الإفريقي في فبراير 1831 إذ قام بمراجعة قوانين هذا السلك فخفض من رواتبهم ومزاياهم وزاد على ذلك بأن ألغى فئة المترجمين المرشدين وعوضهم بفرقة الدركيين المترجمين وكلهم من المغاربة، مما زاد من استيائهم ودفع بهم إلى مغادرة البلد. فهذه الفرقة الأخيرة غير مكونة للمهمة المنوطة بها ولم تر السلطات حاجة إلى منحها تكوينا يؤهلها للمهمة، وقد يعود هذا إلى سياسة الميز العنصري الفرنسي الذي انتهجته الإدارة تجاه الشعب الجزائري.

وفي نهاية سنة 1831 عندما جاء الدوق دو روفيقو Duc de Rovigo إلى الجزائر تدعم هذا السلك بمترجمين ذوي كفاءة عالية. فقد استقدم هذا الأخير جواني حبيبي ( Joanny Habeiby) ابن أحد قدامى مترجمي نابوليون في مصر و دولابورت الذي كان يشغل منصب القنصل الفرنسي في المغرب الأقصى وهو أيضا من مترجمي نابليون سابقا.

لقد قامت لجنة خاصة بدراسة وضعية هذا السلك وعملت على تحسين وضعيته المادية فجعلت للمترجمين بزات رسمية حسب الرتب وضمنت لهم أحصنة وعلفا وتدفئة وما يحتاجون إليه ماديا حتى يمثلوا فرنسا مع الأهالي من غير أن يسيئوا لسمعتها. كان الدوق دو روفيقو يقدر خدمات المترجمين حق قدرها ولهذا عمل بجد على دعم هذا السلك من جميع النواحي. وحرص أيضا على جلب المزيد من المترجمين الأكفاء إذ ألح على وزير الخارجية أنذاك أن ينشر نداء في المشرق العربي لطلب مترجمين أكفاء من أبناء القنصلة يلتحقون بالجزائر فكان أن لبي هذا النداء مترجمون على دراية جيدة بمهنتهم أمثال مارتان (Martin) والأخوين روسو (Rousseau) وبوسيه (Beaussier). وبعد مغادرته للقيادة خلفه مؤقتا الجنرال فوارول (Voïrol) الذي أمر بتشكيل لجنة تقصت موضوع سلك المترجمين وأوقفت بعضا منهم عن العمل ( بوفلوح، 2018).

ولما تشكلت حكومة الكونت ديرلون (Le Comte D'Erlon) سنة 1834 أهملت هذا السلك وهمشته. ومع حكومة الكونت دونيس دو دامريمون (Le Comte Denys de Damrémont) التي تلتها فقد تم تعيين بيليسي دو راينان (Pélissier de Raynand) على رأس الشؤون العربية، وكان يدرك مدى الأهمية الكبيرة لهذا السلك في توطيد أركان إدارة الاحتلال في البلد المحتل، فأولى له الرعاية المطلوبة ودعمه بالقوانين التنظيمية والوسائل المادية التي تعينه على أداء مهمته التواصلية الاستعمارية. وفي عهده ازداد إخضاع مناطق جديدة من البلاد للجيش الفرنسي فأصبح عدد المترجمين غير كاف، وهذا ما استدعى إجراء إصلاحات على هذا السلك لتوفير العدد الكافي والمؤهل للقيام بالعملية الاستعمارية كما يراد لها. تمكن هذا السلك من الحصول على الإصلاحات المطلوبة من لدن الحكومة الفرنسية بفضل تقارير لجنة مختصة لهذا الغرض وتدخل بعض التراجم النافذين لدى الحكومة، وكان من نتيجة هذا المسعى أن أصدرت الحكومة مجموعة من المذكرات والمراسيم التي أعادت تنظيم هذا السلك.

في 1845 صدر في النشرة الرسمية للحكومة الفرنسية المقرر الوزاري الذي نص على إعادة تنظيم جميع جوانب السلك من مهام الترجمة المثبتين وتصنيفهم في الرتب وتحديد مرتباتهم. كما نص على مهام الترجمة المساعدين ومرتباتهم وحقوقهم. أما الأحكام العامة فقد نصت على الجانب القانوني لحمل الترجمة السلاح ولباس الزي الرسمي للوظيفة وسلم الأجور. جاء هذا القرار ليراجع الوضعية المزرية التي آل إليها سلك الترجمة مباشرة بعد الحملة على الجزائر. أما برنامج امتحانات المترجمين العسكريين فقد صدر عن الحكومة سنة 1847. لقد أنعى هذا القرار على الترجمة الذين كانوا دون المستوى في الكفاءة والسلوك حتى أنهم أساءوا لزملائهم في المهنة ولمسمة فرنسا. وأكد القرار أنه ينبغي على المترجم أن يكون شخصا من مستوى عال.

أما فيما يتعلق بمستقبل المهنة فقد نص المقرر على إنشاء مدرسة لتخريج الترجمة ذوي الكفاءة والذكاء والخلق. ونص هذا المقرر أيضا على إجراءات تفضيضية لهم كاستفادتهم من المؤن الغذائية وعلف أحصنتهم. ونص أيضا على إدماجهم في الرتب العسكرية فأعلاهم في السلم يتقلدون رتبة قائد كتيبة عسكرية وأما أصحاب الدرجة الأولى فيتقلدون رتبة نقيب بينما يتقلد الذين هم في الدرجة الثانية رتبة ملازم أول. واستفاد الترجمة ذوو الرتب العليا من التقاعد بينما لم يستفد منه الترجمة الطلاب (بوفلوح، 2018).

حدد قرار آخر طرق الالتحاق بهذا السلك فاشتراط أن يكون المترشح طالب ترجمة أو سبق له وأن درس في مدرسة تحضيرية ثم يجتاز اختبارا ليبدأ في تعلم اللهجة العربية الجزائرية. ويتم تعيين طالب الترجمة من قبل الترجمان الرئيس (drogman) للناحية بعد اقتراح قائد الأركان أو حاكم الجزائر. ونفس الإجراء كان يطبق على الترجمة المساعدين، واستفاد الترجمان الرئيس من مزايا عديدة تناسب طبيعة وظيفته إذ كان ينبغي عليه أن يتحلى بمظهر لائق أمام الجزائريين سواء من حيث اللباس أو من حيث الإمكانات المادية حتى يكتسب احترامهم بوصفه موظفا لفرنسا.

صدرت في نفس الفترة مذكرة تنص على إنشاء مدرسة خاصة لتكوين المترجمين بحيث يكون التكوين جادا على أن تقام في الجزائر ويدرس فيها الطلاب الجزائريون جنبا إلى جنب مع الطلاب الأوروبيين فيتبادل الفريقان تعلم اللغتين العربية والفرنسية. كما اقترحت ألا يقتصر التعليم على اللغتين بل يتوسع لمعرفة معلومات دقيقة ولو مختصرة عن تاريخ الجزائر وجغرافيتها وتشريعاتها وعادات سكانها وحتى لدراسة شيء من الأدب العربي. وكانت تهدف هذه المذكرة

أيضا إلى إحلال الخريجين الأكفاء محل التراجمة الأميين. ومن ذلك الحين عرف سلك التراجمة تنظيما جادا وثابتا.

كان المطلوب إنشاء هذه المدرسة في الجزائر لتخريج تراجمة بدرجة جامعية وكان يتطلب الأمر تسجيل طلاب من عائلات موسرة تتكفل بمصاريف أبنائها، إلا أن هذا كان متعذرا في الجزائر ففكرت وزارة الحرب في إقامتها في باريس كملحقة للمدرسة العربية بحيث يرادها طلاب فرنسيون وآخرون يستقدمون من الجزائر بشرط أن يكونوا من عائلات ذات مكانة اجتماعية. ومن الجدير بالملاحظة أن التراجمة المساعدين كانوا يختارون من السكان الأصليين فقط وأن كل أنواع الانتقادات كانت توجه لهم حتى أنهم تسبوا بسلوكهم السيء في الإساءة للتراجمة الآخرين.

كان التراجمة ذوو الرتب العالية يؤدون إلى جانب مهامهم الإدارية مهمة أخرى ذات طبيعة استعلامية تتمثل في تزويد الضباط العسكريين بكل المعلومات المهمة عن كل ما يحدث في التراب الجزائري المحتل. فطبيعة تكوينهم مزدوج اللغة تمكنهم من رصد كل ما يدور في نفسية المجتمع الجزائري العربي الأمازيغي. وبهذا ساهموا في عملية غزو الأرض وتثبيت الاستعمار والتمكين للغة الفرنسية وثقافتها وقتل الشعب وسلب ثروات أرضه. فالهدف الأسمى للإدارة الفرنسية هو فرنسا المجتمع الجزائري وبث القيم الثقافية الفرنسية فيه. وهذه القيم الثقافية والاجتماعية هي قيم المنتصر الغالب وتعمل على تقزيم ثقافة الجزائري الذي كان في وضعية المهزوم المغلوب. وكان محتوما عليه أن يستوعبها بما فيه من ضرر جسيم على شخصيته. وتتمثل طريقة المستعمر الفرنسي لذلك في جعل الشباب الجزائري يأنس للحضارة الفرنسية ويتبناها وينشرها بين بني قومه ويكون وسيطا بين الأهالي الجزائريين والمستعمرين الفرنسيين. لقد كان الدوق دو روفيقو يلجم باستبدال العربية بالفرنسية في الجزائر بشكل تدريجي حتى يسهل إخضاع الشعب الجزائري كلية لفرنسا.

#### 4- إصلاح السلك:

بعد سنوات من الشكوى وافقت أخيرا الحكومة الفرنسية على إصدار قوانين تعيد تنظيم مهنة التراجمة العسكريين. فجاءت هذه الإصلاحات لتهيكل السلك في فئتين. وأصبح لهم رتبة ضابط عسكري حاصل على ترخيص ملكي. وكانت الهيكلة الجديدة كالآتي:

- التراجمة الرئيسيون

- ترجمة الدرجة الأولى

- ترجمة الدرجة الثانية

أما الفئة الثانية فيتم تعيين أعضائها من قبل الحاكم العام للجزائر وهي تتفرع إلى فرعين: يطلق على موظفي الفرع الأول تسمية الترجمة الطلاب أو ترجمة الدرجة الأولى، وأما الفرع الثاني فيحمل تسمية الترجمة الطلاب من الدرجة الثانية. وهكذا تم إلغاء فرقة المرشدين الترجمة مع ضمان توفير مناصب عمل لهم في مهن أخرى، والملاحظ هنا أن المنتمين لهذه الفئة لا يستفيدون من رتبة ضابط عسكري.

لم يكن عدد الترجمة العسكريين كبيرا ما بين 1830 سنة احتلال الجزائر وسنة 1862. والجدول التقريبي الذي وضعه الترجمان الرئيس الفرنسي الذي عمل طويلا في الجزائر يبين هذا العدد:

#### 5 - 1- القائمة التقريبية للترجمة العسكريين في الجزائر:

الحاكم العام للجزائر: ترجمان رئيس واحد

- ترجمان رئيس واحد لكل ناحية، وقد كلف برئاسة مصلحة، فعددهم الإجمالي 3 في

النواحي الثلاث

ترجمان من الدرجة الأولى:

4 ناحية الجزائر

2 ناحية قسنطينة

2 ناحية وهران

ترجمان من الدرجة الثانية:

8 ناحية الجزائر

6 ناحية قسنطينة

6 ناحية وهران

( Féraud, 1987, pp. 93-94).

5 - 2- رفع الأجور:

تقدم الترجمان الرئيس لوران شارل فيرو بمقترح للحكومة يطلب فيه زيادة يراها مبررة لسلك الترجمة. عبر هذا الأخير عن رأيه بأن الترجمة مناصبهم قليلة وهم مطالبون بإنكار الذات، إذ لا يسمح لهم بالعودة لبلدهم وهم عرضة للقتل في كل وقت وعلى أهبة دائمة للعمل في كل الظروف. والملاحظ أن الحكومة وافقت سنة 1845 على مقترحه وكان ذلك وفق الجدول الآتي:

- ✓ الترجمة الرئيسيون ..... 4.000 فرنك فرنسي
- ✓ ترجمة الدرجة الأولى ..... 3.000 فرنك فرنسي
- ✓ ترجمة الدرجة الثانية ..... 2.400 فرنك فرنسي
- ✓ طالب ترجمان من الدرجة الثانية.... 1.800 فرنك فرنسي
- ✓ ترجمان من الدرجة الثانية ..... 1.200 فرنك فرنسي
- ✓ ترجمة مساعدون..... من 600 إلى 900 فرنك فرنسي

بالإضافة لهذه الزيادة في الأجر نص القانون على علاوة سنوية للترجمة وعلى مؤونة

وتدفئة وعلف للأحصنة (Féraud, Op.Cit.)

#### 6- المراسيم الإمبريالية الخاصة بالترجمة في الجزائر ( نابوليون الثالث):

صدرت بعض المراسيم الإمبريالية عن حكومة نابليون الثالث لتنظيم سلك الترجمة

العسكريين إبان احتلال الجزائر وهي كالآتي:

✓ المرسوم الإمبريالي الذي ينظم إطار الترجمة التابعين لجيش الجزائر ( 1854/02/04 )

✓ المرسوم الإمبريالي الذي يثبث الترجمة الدائمين التابعين لجيش الجزائر في رتبهم

( باريس في 1854 /02/04 )

✓ المرسوم الإمبريالي المتعلق بإعادة تنظيم سلك ترجمة الجيش، الجريدة العسكرية، سنة

1862، العدد 18، (باريس، 04 /06 /1862 ) (Féraud, Op.Cit.) .

#### 7- نبذ عن أهم ترجمة تلك الحقبة:

7 - 1- جان ميشال فنثور دو بارادي ( Jean-Michel Venture de Paradis,

1799-1742):

هو ترجمان فرنسي من عائلة دبلوماسية تنقلت كثيرا في المشرق. أتقن العربية والتركية إلى جانب

الفرنسية. مكث في سوريا من 1764 حتى 1770 حيث انتقل منها إلى مصر وهناك قدم

خدمات كبيرة لفرنسا في مجال السياسة والتجارة. وفي 1776 عاد لفرنسا ليروى القصر الملكي الفرنسي بتقارير عن حالة الانقسام بين البايات العثمانيين. زار تونس في 1779 وعمل ترجمانا للغات الشرقية في القنصلية الفرنسية. وبعدها مباشرة أرسل للجزائر للمشاركة في مفاوضات تجديد العقود بين إيالة الجزائر وفرنسا. ثم عاد بعدها إلى القاهرة حيث عمل قنصلا لفرنسا. عندما غزا نابليون بونابارت مصر عينته الحكومة الفرنسية ترجمانا أولا للحملة. عمل بتفان كبير وإتقان في الترجمة بينه وبين علماء وأعيان مصر، فساعد بأسلوبه الجذاب في إقناع شيوخ مصر فجلب النجاح لنابليون في مهمته السياسية. كان من أبرع المستشرقين الفرنسيين. توفي عندما رافق نابليون في حملة على فلسطين في 1799 فحزن عليه نابليون كثيرا. له ترجمات عديدة لمؤلفات عربية إلى الفرنسية.

( 7-2 - جاك دونيس دو لا بورت - Jacques Denis Delaporte, 1777 )

(1861):

هو ترجمان فرنسي بارع في الترجمة من اللغات الشرقية، خدم في مصر أثناء الحملة الفرنسية ثم في الجزائر. تخرج من مدرسة اللغات الشرقية بباريس ولبراعته في اللغة العربية وثقافتها تقلد عدة مناصب قنصلية في طرابلس ثم طنجة. وأثناء خدمته في مصر كان عضوا في لجنة العلوم والفنون فساهم بقوة في الأبحاث العلمية حول مصر ونشر أبحاثا عن تاريخ مماليك مصر اعتمد فيها على مصادر عربية. وعندما كان قنصلا في طنجة قام بمهامه بكفاءة عالية فاستدعاه الدوق دو ريفوق إلى الجزائر ليكلفه بتطهير صفوف سلك الترجمة من التراجمة المرشدين غير الأكفاء الذين أساءوا لسمعة هذا السلك حتى أن كثيرا من التراجمة الحقيقيين اضطروا للاستقالة ومغادرة البلد لهذا السبب. عمل جاهدا على الإصلاح الموكل إليه ونجح في ذلك جزئيا، إلا أن استقامته الخلقية تسببت له في حساسيات مع زملاء العمل فقرر ترك هذه المهمة والعودة لشغل منصب رئيس الترجمة بعيدا عن المكدرات. وبعد ذلك تقلد منصب مدير الشؤون العربية الذي أحلله الرائد لاموريسيار (Commandant de La Moricière).

ولما ترك هذا المنصب كلف بمنصب قنصلي في موقادور (Mogador) بالمغرب وهناك عكف على مهامه القنصلية وخصص جزءا من وقته لتعلم اللغة البربرية التي كانت غير معروفة جدا في أوروبا. وفي سنة 1842 عاد إلى فرنسا واهتم بأسرته وبقراءاته الأدبية المفضلة وبدأ يتعلم

اللغة القبطية كي يتعرف على مصر من وجهة نظر قبطية، بعد أن ألم بمعرفتها من وجهة نظر اللغة العربية. توفي في فرنسا ( Féraud, 1869 ) .

### 7 - 3 - جان شارل زكار ( Jean - Charles Zaccar, 1789 - 1852 ) :

ولد في سوريا ونشأ في دير للرهبان ببلنان ثم لجأ إلى مرسيليا هربا من الأحداث التي كانت تعصف ببلده. وهناك اشتغل راهبا في كنيسة إلى أن وصل خبر إلمامه باللغة العربية إلى السلطات الفرنسية فاستدعي إلى باريس للمساهمة في إعداد الإعلان الموجه للعرب، الذي كان قيد التحرير من أجل قراءته وتوزيعه على الشعب الجزائري عندما يتم احتلال الجزائر. حرر هذا الإعلان هذا الراهب السوري الأصل بالتعاون مع المستشرق الفرنسي الشهير دو ساسي والمستشرق بياكي ترجمان وكاتب الملك. ومما يلاحظ على هذا الإعلان طغيان التعابير اللغوية والدينية التي كانت شائعة في سوريا يومئذ، بحيث يلاحظ غلبة الأسلوب الديني الإسلامي على الإعلان في كل سطر تقريبا.

إلتحق الراهب زكار بجيش إفريقيا إلى جانب الجنود الفرنسيين ودخل الجزائر محاربا، وعندما سقطت مدينة الجزائر على إثر حصار الجنرال دو بورمون كلفه هذا الأخير بترجمة نص الاستسلام الذي أعده دو بورمون لفرضه على حسين باشا الحاكم العثماني للجزائر. وبعد استسلام هذا الأخير عين ترجمانا من الدرجة الأولى في أبريل 1830، ثم ترجمانا رئيسا لدى الحكومة العامة في 1839 وراهما ملحقا بأسقفية مدينة الجزائر في 1845. وفي 1848 عين ترجمانا مساعدا بعد أن اعتقلت صحته ولم يعد قادرا على تحمل المهام الكبرى. توفي بالجزائر في 1852.

تقلد الأب زكار مناصب عديدة في ميدان الترجمة لدى الحكام العاميين الفرنسيين في الجزائر ولدى القادة العسكريين بدءا بالجنرال بورمون وانتهاء بالجنرال بيجو. اضطلع بمهامه في الترجمة بحماسة تامة وواصل واجباته الدينية في الكنيسة. تحمل المشاق والتعب والحرمان جنبا إلى جنب مع الجنود وقام أيضا بمهام خطيرة على حياته كالوساطة لدى الأمير عبد القادر (Féraud, 1867) .

### 7 - 4 - لويس دو براسفيش ( Louis de Bracevich, 1772 - 1830 ) :

ترجمان فرنسي متمرس صاحب نابوليون في حملته على مصر ثم شارك في الهجوم الفرنسي على الجزائر. كان برتبة أول ترجمان سكرتير للجيش الفرنسي سواء في مصر أو في الجزائر. وأثناء

حصار مدينة الجزائر تطوع لترجمة شروط الاستسلام التي أملاها دو بورمون على حسين باشا. كانت تلك مغامرة حقيقية بسبب عدم ائتمانه على حياته من بطش الباشا، ولكنه تطوع إذ امتنع التراجم الآخرون لأنه كان شيخا لم يعد لحياته كبير فائدة وأراد أن يتخلص من حياته بطريقة مشرفة وليعلن عن وفائه لملك فرنسا يومها، كما اعترف للوران شارل فيرو الترجمان الفرنسي الآخر الذي لقيه بعد ذلك بقليل وآثار الرعب بادية عليه (Féraud, 1867). كانت حياته فعلا في خطر عندما ذهب لقصر الداوي حسين ليقراً له باللغة العربية بنود الاستسلام التي كتبها الجنرال الغازي دو بورمون. فقد صحبه أحد أغنياء تجار العاصمة المقربين من الداوي وهو سيدي مصطفى الذي فتح له الباب وقاده إلى قصر الداوي بالقصبة حيث استقبلته أمواج العرب واليهود والموريسكيين الذين كانوا داخل أسوار المدينة في هرج وصرح إلى أن بلغ القصر حيث شاهد جمعا كبيرا من الجنود الإنكشاريين وهم أيضا في حالة إثارة. وعندما كان يقرأ على الداوي بنود الاستسلام التي لم يطق سماعها هؤلاء الجنود لقسوتها سحبوا خناجرهم وسيوفهم من أعمادها ورفعوها فوق رأسه، فكان أن تدخل الداوي شخصيا لمنعهم من إعدامه. وبعد أن أنهى قراءة الشروط عاد بعض الهدوء للمتواجدين في القصر عندما أخبرهم بأن الجنرال دو بورمون يتعهد بأن لا يدخل المساجد جنود فرنسيون وأن ممتلكاتهم لا تمس وأن الممتلكات الشخصية للداوي محفوظة له، وأنه مأمور بالخروج من الجزائر والتوجه لأي مكان يرغب فيه. عاد الترجمان براسفيش إلى مقر القوات الفرنسية المحاصرة للجزائر في حصن الإمبراطور الذي صار أغلبه ركاما نتيجة القصف المدفعي للجيش الفرنسي. كان في حالة نفسية صعبة، وما أثر فيه أكثر كان شعوره بأنه أهمل شأنه بعدما تم توقيع المعاهدة بين الطرفين. فقد نسي بشكل كبير فأنثر عليه ذلك فمات بعد 15 يوما من الحادثة في مدينة الجزائر عن عمر 58 سنة وهناك دفن. قضى في المستشفى في وضعية مزرية وحيدا وفي حالة مادية صعبة وهو الذي جازف بحياته فداء لفرنسا وملكها.

#### 7 - 5 - لوران شارل فيرو ( 1829 - 1888 ) Laurent- Charles Féraud :

هو ترجمان فرنسي من عائلة من العسكريين، إلتحق بجيش إفريقيا بعد احتلال الجزائر وأبلى بلاء حسنا في الترجمة بين ضباط الجيش الفرنسي وأعيان الجزائر. عرف بنشاطه الكبير في ميدان الترجمة والبحث والتنقيب في تاريخ الجزائر وجغرافيتها وعادات شعبها ولهجاته. يضاف إلى هذا أنه كان رساما مكثارا أرخ للاستعمار الفرنسي بلوحات فنية كثيرة ولمناظر الجزائر الطبيعية

وسكانها. كان متحمسا جدا لنشر اللغة الفرنسية وثقافتها في الجزائر وإدماج الشعب فيها. بدأ بالترجمة للجنرال القائد للناحية القسنطينية يومذاك إلى أن نال وسام الشرف الفرنسي ( La Légion d'Honneur) سنة، وبعد هذا عين ترجمانا رئيسيا للحاكم العام الفرنسي للجزائر في مدينة الجزائر سنة 1872 ورفي إلى رتبة ضابط. خدم الجيش الفرنسي أيضا بتجسسه على الشعب وقادته. وبعد أن تقاعد من الجيش انخرط في السلك الدبلوماسي فعين قسلا عاما لفرنسا بطرابلس من 1879 إلى 1884. وبعدها عين وزيرا فوق العادة بطنجة بالمغرب الأقصى وتوفي هناك وهو على رأس منصبه سنة 1888.

لقد عكف كثيرا على البحث في تاريخ الجزائر، فألف عددا معتبرا من الكتب التي تؤرخ للشرق الجزائري خاصة، وهذه بعض منها<sup>1</sup> :

يبدو من هذا الإنتاج الغزير الذي ألفه عن تاريخ الجزائر أنه كان باحثا جادا كرس وقتا طويلا من حياته للجزائر لجلي تاريخها وعاداتها وأماط سكانها ليسهل دمجها في الثقافة الفرنسية والسيطرة عليها عسكريا وثقافيا ومحو لغتها وثقافتها وإضعاف دينها. ولقد ترأس الجمعية التاريخية

1. Férault, L. C. (1864a). <sup>1</sup> *Monographie des Oulad-Abd en Nour*. Constantine : Imprimerie Aletti et Assoulet.
2. Férault, L. C. (1864b). *Monuments dits celtiques dans la province de Constantine*. Constantine : pas d'éditeur.
3. Férault, L. C. (1867). *Le Palais de Constantine, recueil des notices et mémoires de la Société archéologique de la province de Constantine*. Constantine : Arsollet.
4. Férault, L. C. (1869a). *Histoire des villes de la province de Constantine, Bougie, Gigelli, Sétif, Borj bou Arridj, Mesila, Boussada, Philippeville, Alger et Constantine*. (pas d'éditeur et pas de lieu)
5. Férault, L. C. (1869b). *Notices historiques sur les tribus de la province de Constantine, Telar'ma, Segnie, Amer Cheraga, Behira, Touila, Zemoul, Berrania, Armolet*. Constantine : ( pas d'éditeur).
6. Férault, L. C. (1874). *Conférences sur les résultats obtenus par les études épigraphiques algériennes en mars et avril 1874*. Alger : Typog, Bouyer.
7. Férault, L. C. (1876). *Les interprètes de l'Armée d'Afrique (Archives du Corps), suivi d'une notice sur les interprètes civils et judiciaires*. Alger: Jourdain.
8. Férault, L. C. (1878). *Exposition universelle de Paris en 1878, Algérie, archéologie et histoire*. Alger: Jourdain.
9. Férault, L. C. (1887). *Le Sahara de Constantine, notes et souvenirs*. Alger : Jourdan.
10. Férault, L. C. (1927). *Annales Tripolitaines*, Tripoli: Librairie Tournier.

التي كانت تتألف من مجموعة من المؤرخين الفرنسيين الذين يشتغلون على موضوع تاريخ الجزائر وأثر بيولوجيتها لنفس الأهداف الاستعمارية التي سعى إليها فيرو. وتقول نورا لافي عنه: " كان فيرو منتج الإدارة العسكرية الفرنسية الأكثر نجاعة: كان رجل ميدان وعالما يتمتع بمعارف لسانية كبيرة ودبلوماسية حاذقا" ( لافي، 2005، صص 7-17)، كان ضليعا في العربية والفرنسية والإيطالية والأمازيغية، وإلى جانب هذا كان مؤرخا صميما مهتما كثيرا بالبحث في المصادر الأصلية ونشر ما لم يسبق نشره. ففي أثناء تواجده في المغرب الإسلامي ما بين 1840 و1888 انكب على المعرفة التاريخية والجغرافية واللغوية لهذه المنطقة كلها من المحيط الأطلسي غربا إلى ليبيا شرقا ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى الصحراء جنوبا. كان مخصصا في دراساته للمنطقة. صحيح أن هذا البحث كان من زاوية نظر استعمارية. فهو يوافق فرنسا في خطتها للسيطرة على المغرب الإسلامي. فكان يسعى لإخضاع الجزائر وشعبها لفرنسا والقضاء على الحكم العثماني في الجزائر وليبيا ومدافعة بريطانيا ( لافي، 2005). ومن الأدلة الدامغة على حماسه الزائد لخدمة خطط فرنسا في الجزائر شهادة للجنرال لacroix حاكم المنطقة القسنطينية الذي قدمه لوزير الحرب آنذاك وهو يرشحه لأحد أعلى الأوسمة الفرنسية بقوله بأنه ساهم كثيرا في: " نزع سلاح منطقة الحضنة وبلاد القبائل ما بين بجاية وسطيف وإعادة تنظيمهما وتهدئتهما" ( لافي، 2005). فهو يؤرخ لفترة حساسة من تاريخ المنطقة وهي فترة الانتقال من مرحلة الحكم العثماني إلى مرحلة الحكم الفرنسي. لقد كان من مهامه كشف مواطن ضعف المجتمعات المغاربية لتسهيل إخضاعها واستغلالها وثوراتها. فعمله مع الجيش الفرنسي كان محوريا وكان دائما في الطليعة. وحتى بعد أن تقاعد من العمل العسكري والتحق بالسلك الدبلوماسي في طرابلس ثم طنجة لم ينقطع عن تزويد الجيش الفرنسي بالمعلومات عن المنطقة التي من شأنها أن تسهل لفرنسا احتلال كل دول المغرب الإسلامي (لافي، المرجع السابق) وانتهى به المطاف إلى أن يصير ابتداء من 1870 ممثلا للاستعلامات العسكرية داخل السلك الدبلوماسي الفرنسي في إفريقيا الشمالية. وعندما كان قنصلا في طرابلس عمل جاهدا على إفشال مخططات بريطانيا لإنشاء مستعمرة بريطانية على تخوم المغرب "الفرنسي". وكان من مهامه أيضا مراقبة أوساط المقاومين الجزائريين الذين لجأوا لطرابلس، والمتابعة الدقيقة للمقاومين الجزائريين الآخرين المتمركزين في صحراء ليبيا الذين كانوا يشنون هجمات على الجيش الفرنسي في الجزائر انطلاقا من الحدود الشرقية (لافي، المرجع

(السابق). فقد كلفته وزارة الحرب الفرنسية بقطع الإمدادات عنهم بإقناع العثمانيين بعدم دعمهم ومنع الإنجليز أيضا من دعمهم إذا تخلى العثمانيون عنهم.

أثناء عمله القنصلي في طرابلس سعى بكل ما أوتي من قوة لجمع آلاف المصادر لكتابة مؤلفه الشهير "حوليات طرابلس" *Annales Tripolitaines* التي هي وصف دقيق وثاقب للمدينة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فكان في بحثه يستجوب علماء المدينة وأعيانها ليستخرج المعلومات التي يتحصل عليها منهم لكتابة هذا المؤلف الذي سخره لتمكين فرنسا من استعمار كل دول المغرب الإسلامي. لم يستجب كل علماء المدينة لمطالب فيرو بتقديم المخطوطات والكتب له لإعانتته في بحثه. فعائلة المؤرخ المسمى الفقيه امتنعت عن تقديم أرشيف هذا الأخير له، لأنها كانت ترى في عمله خطرا على ليبيا (لافي، المرجع السابق). لم يثن هذا الرفض فيرو عن مواصلة جهوده البحثية حتى تمكن من جمع مادة تضاهاي ما كان عند الفقيه.

كانت طرابلس تابعة للسلطان العثماني في السنوات الممتدة ما بين 1870 و1880، وقد عمل على تحديثها إداريا واجتماعيا في تلك الفترة حتى يكتسبها ولا يحتلها غيره من المترصين بها كالإيطاليين والفرنسيين والبريطانيين. كان سكان المدينة مزيجا من الجنسيات الأجنبية كالعثمانيين والجزائريين واليونان والمالطيين والألبانيين والبلقانيين إلى جانب الليبيين واليهود، وهم الفئة التي كانت تشكل ثلث السكان. في هذا المناخ المتعدد الجنسيات والمشارب كان يحلو للقنصل الفرنسي فيرو أن يتحرك. كان يلعب على الخلافات بين الطوائف ليؤججها فيضرب واحدة بأخرى من أجل الحفاظ على المصالح الفرنسية هناك وفي كل شمال إفريقيا التي كان يرى فيها حقا لفرنسا في استعمارها. وكان يسعى خاصة إلى منع قيام بريطانيا باستعمار ليبيا حتى لا تشكل خطرا على المستعمرات الفرنسية في شمال أفريقيا. وعمل أيضا على ارتياد الصالونات الدبلوماسية واستطاع أن يحسن علاقاته مع الحاكم العثماني (لافي، المرجع السابق). وفي نفس الوقت كان يرسل للجيش الفرنسي المحتل للجزائر الخرائط المفصلة لاحتلال طرابلس إذا دعت الضرورة. ومع ذلك كان يرى أن ذلك لم يكن ضروريا إلا إذا تعرضت طرابلس لمحاولة غزو أجنبي، وكان هدفه الإبقاء على هذه المدينة محورا للعلاقات مع الجزائر ومصر وفزان في جنوب ليبيا. فهو وفي لسياسة فرنسا التي بعد أن انتزعت من العثمانيين تونس والجزائر وقفت إلى جانب الدولة العثمانية في

قضية ليبيا حتى لا تسقط في أيدي بريطانيا فتشكل بذلك خطرا على المستعمرات الفرنسية في شمال إفريقيا.

#### خاتمة:

نلاحظ من خلال هذا العرض التاريخي لدور الترجمة أثناء احتلال نابليون لمصر أنها أدت دورا محوريا في التمكين لهذا الاحتلال، حيث استعمل نابليون والضباط الفرنسيون الترجمة والمترجمين واسطة قوية لإعطاء الأوامر للشعب المصري والتحاو مع شيوخ الأزهر لاستمالتهم إليهم ومن ثمة التحكم في الشعب وجعله يقبل السياسة الفرنسية التي كانت تريدها له كشعب محتل خاضع ولا يثور. فكان المترجمون فرنسيين ومغاربة من المعتقلين في سجون مالطة وسورين مسيحيين كانوا هاجروا إلى مصر من قبل وآخرين كانوا يقيمون في إيطاليا. أما المصريون فلم يسجل من المسلمين أي مترجم لأن مصر حينها لم تكن تدرس اللغة الفرنسية في مدارسها. أما فيما يتعلق بالأقباط فقد وجد مترجم واحد عاشر الفرنسيين فتى يافعا فتعلمها وأتقنها وعمل بها في حقل الترجمة وهو إليوس بقطر الذي ألف أول قاموس عربي فرنسي. ونلاحظ أيضا أن ثمانية من ترجمة نابليون في مصر إلتحقوا بالجيش الفرنسي لما غزا الجزائر ومن بعد لحق بعضهم أبناءهم. لم تتمكن من تحديد دوافع التحاقهم بالجيش الفرنسي في الجزائر والترجمة له وحمل السلاح معه غير أنهم كانوا يريدون مرتبات، وأنه كان فيهم وفاء لهذا الجيش. بعضهم كان فرنسيا والآخر سوريا مسيحيا والبعض من يهود الجزائر إلى جانب بعض قدامى الضباط المملوكيين الذين تحالفوا مع فرنسا في مصر ثم إلتحقوا بها في الجزائر. وخلاصة القول أن فرنسا استعملت الترجمة في مصر والجزائر لنفس الغرض الاستعماري وبنفس المنهجية، إلا أن نجاحها في مصر كان مؤقتا بسبب طرد بريطانيا لها من هناك، ونجاحا طويل الأمد في الجزائر بسبب نجاحها في المكوث في هذا البلد 132 سنة.

#### المصادر والمراجع:

##### أ- الكتب

1. الترك، نيقولا (1990). ذكر تملك الفرنسيات الأقطار المصرية والبلاد الشامية. ط 1. بيروت:

دار الفارابي.

2. الجبرتي، عبد الرحمن ( 1998 ). عجائب الآثار في التراجم والأخبار. القاهرة: دار الكتب المصرية .

3. الشيبال، جمال ( 2020 ). تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية. القاهرة: دار المحرر الأدبي للنشر والتوزيع.

### ب- المقالات العربية:

4. المبارك، محمد بن حسن ( 2019 ). حملة نابليون على مصر ( 1798-1801 ) لماذا؟

صيد الفوائد، <https://www.saaid.net/Doat/almubark/6.htm>

### ج- الكتب الأجنبية

5. Desprez, F. A. (2012). Journal d'un officier de l'Armée d'Afrique. Paris, France : Hachette Livre BNF

6. Féraud, L. – C. (1876). Les interprètes de l'Armée d'Afrique (Archives du Corps), suivi d'une notice sur les interprètes civils et judiciaires. Algérie : Jourdan.

7. Lafi, N. (2005). Laurent – Charles Féraud entre le renseignement militaire et l'histoire. Paris, France : Bouchène, Bibliothèque d'Histoire du Maghreb.

### د- الدوريات الأجنبية:

8. Messaoudi, A. ( 2010). Renseigner, enseigner: Les interprètes militaires et la constitution d'un premier corpus savant « algérien » (1830-1870) , Revue d'histoire du XIXe siècle, 41(2) . <https://www.cairn.info/revue-d-histoire-du-dix-neuvieme-siecle-2010-2-page-97.htm>

### هـ - الرسائل الأجنبية:

9. Boufallouh, K. ( 2018). Formation et activités des interprètes lors de la conquête coloniale de l'Algérie. Thèse de doctorat non publiée, Université Algérie. de Tlemcen,